١٩ ــ خطبة عيد الفطر

أُلقيت في ميدان عابدين بالقاهرة سنة ١٤٠١هـ

الحمد لله، الحمد لله ربّ العالمين، والعاقبة للمتقين، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، خصّنا بخير كتاب أنزل، وأكرمنا بخير نبيّ أرسل، وجعلنا به خير أمّة أخرجت للناس، نأمر بالمعروف وننهي عن المنكر ونؤمن بالله.

﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله، أدّى الأمانة، وبلّغ الرسالة، ونصح للأمّة، وجاهد في الله حقّ جهاده، وتركنا على المحجّة البيضاء، على الطريقة الواضحة الغرّاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلاّ هالك، فمن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً، ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً.

اللهم صلّ وسلم وبارك على هذا النبي الكريم، وارض اللهم عن آله وصحابته، وأحينا اللهم على سنّته، وأمتنا على ملّته، واحشرنا في زمرته، مع الذين أنعمت عليهم من الصّدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

أمّا بعد فيا أيّها الإِخوة المسلمون:

يوم التكبير والمقصود منه:

هذا يوم العيد، هذا يوم التكبير: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلاّ الله، الله أكبر، الله أكبر ولله الحمد.

الله أكبر من كل قوة تظهر في هذا الوجود، الله أكبر من طغيان الطاغين، ومن استكبار المستكبرين، الله أكبر من كل من يطغيه المال أو يطغيه السلطان.

إذا رأيت الدنيا برقت أمامك، وسال إليها لعابك، فاذكر أنّ الله أكبر، إذا رأيت طاغية من الطغاة، وأردت ـ أو خطر ببالك حيناً ـ أن تطأطىء له الرأس، أو تحني له الظهر، فاذكر أن الله أكبر.

علّمنا الإسلام التكبير: إذا أذّنّا كبرنا الله، وإذا أقمنا كبّرنا الله، وإذا دخلنا في الصلاة كبرنا الله، وإذا وُلد المولود كبّرنا الله، وإذا ذبحنا الذبيحة كبّرنا الله، وإذا خضنا المعارك كبّرنا الله، وإذا جاء يوم العيد رفعنا أصواتنا وقلنا: الله أكبر. الله أكبر، لا إله إلاّ الله، الله أكبر. الله أكبر ولله الحمد.

فرحة العيد، ولماذا نفرح؟:

أيّها الإخوة:

هذا يوم العيد، هذا عيد الفطر، أفطرنا وفرحنا فرحة الصائم عند فطره، وننتظر الفرحة الكبرى عند لقاء ربنا: «للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصومه»(١).

«فرح بفطره» فرحة طبيعيّة لأنّه حصل على حرّيته، أبيح له ما كان حراماً عليه. و«فرح بفطره» فرحة دينيّة، لأنه وُفّق إلى أداء واجبه نحو ربه: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يونس: ٥٨].

وهو يفرح هذه الفرحة كلّ يوم بعد الغروب، حين يفطر ويقول: ذهب الظمأ، وابتلّت العروق، وثبت الأجر إن شاء الله.

---

(١) من حديث أبي هريرة الذي رواه البخاري ـ واللفظ له ـ ومسلم وانظر: (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ١/ ٣٠٧ برقم ٥٠٥).

ويفرحها بعد انقضاء شهر رمضان، وما وفّقه الله فيه من الصيام والقيام، فيقول: الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

لقد مضى رمضان إمّا شاهداً لنا وإمّا شاهداً علينا، مضى رمضان شفيعاً لقوم أحسنوا الصيام وأحسنوا القيام، إيماناً واحتساباً، فغفر لهم ما تقدّم من ذنوبهم.

ولكنّه سيشهد على قوم لم يحسنوا الصيام ولم يحسنوا القيام، فليس لهم من صيامهم إلاّ الجوع والعطش، وليس لهم من قيامهم إلاّ التعب والسهر.

فما بالكم بأقوام لم يصوموا، ولم يقوموا، وهم في بلاد الإسلام وينتسبون إلى المسلمين؟! "من أفطر يوماً من رمضان من غير رخصة ولا مرض، لم يقض عنه صوم الدهر كلّه وإن صامه»[1].

مضى رمضان شهيداً لنا أو شهيداً علينا، وإنّا لنرجو أن يكون شهيداً لنا، وأن يشفع لنا مع القرآن: «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة: يقول الصيام: أي ربّ منعته الطعام، والشهوة فشفعني فيه ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فشفعني فيه، قال: فيشفّعان»[2]، نرجو الله أن يشفع لنا القرآن ويشفع لنا الصيام.

مضى رمضان، وستمضي الشهور كلّها، وستمضي الأعوام، وتنقضي

---

(١) حديث ضعيف، أخرجه الترمذي، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه وأحمد والدارمي، والدارقطني، من حديث أبي هريرة، وعلّقه البخاري بصيغة التمريض (شرح السنة للبغوي بتحقيق شعتيب الأرناؤوط: ٦/ ٢٩٠ برقم ١٧٥٣) (فيض القدير للمناوي: ٦/ ٧٧ برقم ٨٤٩٢). والحديث كما قال البغوي: على طريق الإنذار والإعلام بما لحقه من الإثم وفاته من الأجر.

(٢) رواه أحمد من حديث عبد الله بن عمرو، ورواه الطبراني في الكبير ورجاله محتج بهم في الصحيح، قال الهيثمي: رجال الطبراني رجال الصحيح (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ١/ ٣٠٩ برقم ٥٠٩).

الأعمار هكذا.

يفرح الناس بانقضاء شهر مضى، ولا يدرون أنّ هذا الشهر إنّما هو صفحات من كتاب حياتهم طُويت، إنّما هي أوراق ذبلت من شجرة العمر.

وما المرء إلاّ راكب ظهر عمره على سفر يفنيه باليوم والشهر!
يبيت ويُضحي كلّ يوم وليلة بعيداً عن الدنيا قريباً إلى القبر!

كلّ يوم يمضي يقرّبك خطوة إلى قبرك، يقربّك مسافة إلى نهاية أجلك.

ونفرح بالأعوام إمّا تصرّمت على أنّها من عمرنا تتصرّم!

يفرح الإنسان بانقضاء الأيام والشهور، وما دروا أنّها حياتهم تنقضي بها. يقول الحسن رحمه الله: يا ابن آدم إنّما أنت أيام مجتمعة، كلّما ذهب يوم ذهب بعضك!.

من كان يعبد رمضان فإنّ رمضان قد مات:

هناك بعض الناس يُقبلون على الله في رمضان، فإذا ما انتهى رمضان انتهى ما بينهم وبين الله، قطعوا الحبال التي بينهم وبين الله، لا تراهم يرودون المساجد، لا تراهم يفتحون المصاحف، لا تراهم يرطّبون ألسنتهم بالذكر والتسبيح، كأنّما يُعبد الله في رمضان ولا يُعبد في شوّال وسائر الشهور.

من كان يعبد رمضان فإنّ رمضان قد مات، ومن كان يعبد الله فإنّ الله حيّ لا يموت، كان بعض السلف يقولون: بئس القوم قوم لا يعرفون الله إلاّ في رمضان، كُن ربانياً ولا تكن رمضانياً.

كن ربانياً: أي مع الله ربك في كلّ أوان، اتق الله حيثما كنت.. ولا تكن رمضانياً: تصطلح مع الله في رمضان، ثم تبارزه بالغفلة والمعصية بعد رمضان.

ربّ رمضان ربّ الشهور كلّها.

صيام ستة من شوّال وحكمته:

إنّ الإِسلام شرع لما بعد رمضان صيام ستّ من شوّال، ليكون المسلم على موعد مع الله دوماً، يفرغ من عبادة ليدخل في عبادة، وتنقضي طاعة ليبدأ طاعة، ليضع يده دائماً في يد الله: «من صام رمضان، ثمّ أتبعه ستّاً من شوّال كان كصيام الدهر»[1] أي: كأنّما صام السنة كلّها، صيام شهر ـ أي رمضان ـ بعشرة أشهر، وصيام ستة أيام بشهرين، الحسنة بعشر أمثالها، وبهذا كأنّما صام السنة، فإذا حافظ على هذه الست بعد رمضان مباشرة، أو خلال شوّال كلّه، فكأنّما صام الدهر كلّه.

أوّل عيد في قرن هجري جديد:

يا أيّها الإِخوة:

انقضى رمضان، وها نحن الآن نستقبل العيد، نستقبل عيداً له معنى خاص، وله عنوان خاص، هذا أوّل عيد في قرن جديد، هذا هو العيد الأوّل في القرن الخامس عشر الهجري، أوّل عيد تستقبله أمّتنا بعد أن قطعت في عمرها أربعة عشر قرناً، منذ جاء الإِسلام في المدينة وهاجر النبي عليه الصلاة والسلام، وقامت دولة الإِسلام في المدينة.

قرون حافلة بالمحن والأمجاد:

أربعة عشر قرناً انقضت على هذا الإِسلام حقق فيها انتصارات وإنجازات هائلة، كما لقي فيها مصاعب ومحناً قاتلة.

---

(١) من حديث أبي أيوب الذي رواه مسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، والطبراني وزاد: قال: قلت: بكلّ يوم عشرة؟ قال: «نعم». ورواته رواة الصحيح كما قال المنذري والهيثمي (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ١/ ٣١٥ برقم ٥٢٣).

انتصارات الإسلام وإنجازاته:

حقق الإسلام انتصارات وإنجازات أشبه بالمستحيلات، لم يحققها دين غيره، ولا أمّة غير أمته.

وحدّ العرب بعد فرقة وشتات، وهداهم من ضلالة، وأخرجهم من الظلمات إلى النور، وجعل منهم خير أمّة أخرجت للناس.

وانتصر على أميري.. الفرس والرومان، وهما القوتان اللتان كانتا تتنازعان السيادة على العالم القديم، قوة الفرس في الشرق، وقوة الروم في الغرب، قد ورثهما الإسلام وحملة رسالته، وأنفقوا كنوزهما في سبيل الله.

وصل الإسلام في أقل من قرن من الزمان إلى الصين شرقاً، وإلى الأندلس في أسبانيا غرباً، وكاد يدخل فرنسا وأوروبا الغربية لولا ما قدر الله في معركة (بواتيه).

كان الفتح الإسلامي فتح تمدين للبلاد، وإصلاح للعباد، ولم يكن كالفاتحين القدامى: ﴿.. إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً ..﴾ [النمل: ٣٤] ولذا قال المؤرّخون بحق: ما عرف التاريخ فاتحاً أعدل ولا أرحم من العرب، يعني: المسلمين.

لقد حكم المسلمون الناس بالعدل والإحسان، فشعر الناس بالأمان والاطمئنان، مسلمين وغير مسلمين، وأقام المسلمون حضارتهم المتميّزة المتوازنة المتكاملة، التي جمعت بين العلم والإيمان، ومزجت بين الروح والمادّة، وربطت الأرض بالسماء، ووفّقت بين الإبداع المادي والسموّ الروحي والأخلاقي، وكانت الأمّة المسلمة هي الأمة الأولى، وحضارتها هي السائدة لعدّة قرون في العالم كله.

محن ينتصر فيها الإسلام:

ومع هذه الانتصارات والإنجازات، فقد لقي الإسلام خلال تاريخه شدائد

ومحناً لو أصيب بها غيره لهلك وضاع، لقد لقي فيها الإسلام ما لقي، وقاسى فيها ما قاسى، ولكنه صبر وصابر، وصمد وثابت، على رغم قسوة الخطوب، التي أحاطت به في مختلف العصور، كان الناس يظنّون بعدها أنّ الإسلام لن يُرفع له علم، ولن يقوم له شأن، ولن تعلو له كلمة، ولكنّ الإسلام العظيم ـ بقوّته الذاتية ـ تغلّب على المحن كلّها.

انتصار الإسلام على المرتدين:

في فجر الإسلام ارتدّ العرب وقالوا: إنّما كنّا نتبع محمداً، ولا نتبع من بعده، وتبع بعضهم المتنبئين ـ أمثال: مسيلمة الكذاب، وسجاح بنت الحارث، والأسود العنسي، وغيرهم ـ عصبيّة لهم، حتى قال قائلهم: كذّاب ربيعة أحبّ إلينا من صادق مضر!.

وهناك من قوتلوا حينما أنكروا الزكاة، وقالوا: نؤديّ الصلاة ولا نؤتي الزكاة، وأبي خليفة رسول الله أبو بكر إلاّ أن يقاتلهم، وقال: والله لأقاتلن من فرّق بين الصلاة والزكاة، والله لو منعوني عناقاً ـ عنزاً صغيرة ـ أو عقال بعير، كانوا يؤدونه لرسول الله، لقاتلتهم عليه ما استمسك السيف بيدي، وجهّز أحد عشر لواءً لمقاتلة المرتدين ومانعي الزكاة.

وكان هذا أوّل حاكم يعرفه التاريخ يعلن الحرب، ويجّيش الجيوش، من أجل انتزاع حقوق الفقراء من براثن الأغنياء الأشحّاء.

قبل أن تعرف الدنيا الاشتراكيّة والشيوعيّة والماركسيّة، قاتل الإسلام من أجل الفقراء، لم يطالب الفقراء بحقوق لهم، لم يعقدوا مؤتمراً، لم يسيّروا مظاهرة، ولكنّ الإسلام ضمن لهم حقوقهم التي قررها لهم ربهم في أموال الأغنياء: ﴿وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ۝٢٤ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ۝٢٥﴾ [المعارج: ٢٤ ـ ٢٥].

وانتصر الإسلام على المتنبئين، وانتصر الإسلام على مانعي الزكاة، وانتشر نور الإسلام من جديد، وأصبح كثير من الذين ارتدّوا وقاتلوا الإسلام يقاتلون

نصراً للإِسلام، ودفاعاً عن الإِسلام، في فتوح فارس والروم.

انتصار الإِسلام على التتار:

وجاءت حروب التتار، ودخلوا بغداد وحطّموا الخلافة العباسيّة، وذبّحوا المسلمين تذبيحاً، حتى كانت الميازيب ـ التي جعلت للأمطار فوق سطوح المنازل ـ تسيل دماء من دماء المسلمين، وحتى أصبحت هناك أسطورة القوّة التي لا تُقهر، فقد قال المثل السائر: إذا سمعت أنّ التتار قد انهزموا فلا تصدّق!.

وجاء من هزم التتار، وجاءت حملة خرجت من مصر بقيادة المظفّر (قطز) في شهر رمضان من سنة ٦٥٨هـ ـ أي بعد سقوط بغداد بسنتين فقط ـ وكانت معركة (عين جالوت) التي دارت الدائرة فيها أوّل الأمر على المسلمين، فصاح السلطان قطز صيحته التاريخيّة المعروفة ـ وألقى بخوذته إلى الأرض ـ وقال: واإسلاماه! واإسلاماه! واإسلاماه! هناك أقبل المدبر، هناك ثبت المتردّد، هناك تشجّع الجبان، هناك هجم المسلمون كالأسود الكاسرة، وكانت الدائرة للمسلمين وعلى أعداء المسلمين، وانتصر المسلمون في عين جالوت على التتار، ولم تقم لهم قائمة.

انتصار الإِسلام على الصليبيّن:

وجاء الصليبيّون بقضّهم وقضيضهم، وثالوثهم وصليبهم، جاءوا يرفعون الصلبان من أوروبّا، باسم المسيح وقبر المسيح، والمسلمون في غفلة، متمزّقون شذر مذر، لا رابطة ولا راية تجمعهم، الخلافة ممزّقة.

في هذه الحالة استطاعوا أن يدخلوا أرض فلسطين.. أرض النبوات، وأن يستولوا على بيت المقدس، وأن يقيموا لهم أمارات وممالك ظلّت نحو قرنين من الزمان، حتى قيّض الله رجالاً للإِسلام أمثال: عماد الدين زنكي، ونور الدين محمود الشهيد، وتلميذه القائد صلاح الدين الأيّوبي.

قيض الله للإِسلام أمثال هؤلاء الذين أبوا إلاّ أن ينصروا الإِسلام، وأن

يعيشوا للإسلام، وأن ينفخوا في الأمّة الروح.

أبى صلاح الدين ومن قبله نور الدين محمود إلاّ أن ينفخوا في الأمّة من روحها، وأن يعيدوا إليها حيويّتها، بتجديد الإيمان فيها، وبصناعة السلاح.

وهكذا قامت المعارك بين المسلمين وبين الصليبيّين، وانتصر الإسلام، انتصر المؤمنون، انتصر الصائمون القائمون.

كان صلاح الدين يمرّ على خيام جنوده بالليل، فإذا رأى في الخيمة من يصلّي.. من يقرأ القرآن.. من يسبّح.. من يستغفر أو يذكر الله، قال: من هنا يأتي النصر. وإذا رأى أهل الخيمة جميعاً نياماً.. يغطّون في نوم عميق، قال: أخشى أن تأتي الهزيمة من هنا، من النائمين الغافلين.

وبالصائمين القائمين المسبّحين الذاكرين انتصر صلاح الدين، وكانت معركة حطّين، وكان فتح بيت المقدس، بعد أن ظلّ تسعين عاماً في يد الصليبيّين.

انتصر الإسلام خلال القرون على أعدائه، رغم ما كان فيه من وهن ظاهري، ولكنها القوّة الذاتيّة للإسلام تظهر ساعة الشدائد.. ساعة المحن، فيبدو أصلب عوداً، وأصفى جوهراً، وأقوى شوكة، من كلّ ما يظنّ الظانّون.

استعمار البلاد الإسلاميّة:

وفي العصر الحديث، في هذا القرن الذي انقضى ووَدّعناه، في القرن الرابع عشر الهجري، ابتليت بلاد الإسلام بالاستعمار لم تنج إلاّ جزيرة العرب، أمّا بلاد المسلمين فتقسّمتها دول الاستعمار فيما بينها، التهمتها التهاماً، جزأتها لقيمات وابتلعتها، الإنسان لا يستطيع أن يبتلع (كيلو) من اللحم في لقمة، أو رغيفاً كاملاً، ولكنه إذا قطّعه تقطيعاً استطاع أن يأكله.

قُطّعت بلاد الإسلام وأُكلت، وزّعت بين إنكلترا وفرنسا وإسبانيا وهولندا وغيرها، حتى هولندا التي كانت نحو خمسة ملايين في ذلك الوقت، كانت تحتل بلداً إسلامياً يبلغ سكانه أكثر من ثمانين مليوناً في ذلك الوقت وهو: إندونيسيا.

الاستعمار يحمل روحاً صليبيّة:

احتلّت بلاد المسلمين، ودخلها الاستعمار، وهو في الظاهر يحمل اسم (الاستعمار) وفي الباطن يحمل روحاً صليبيّة حاقدة، لم يستطع القادة العسكريّون أن يخفوها بما يخفيها السياسيّون المداهنون.

لمّا دخل القائد العسكري البريطاني (اللّنبي) سنة (١٩١٧) م إلى القدس، قال كلمته المعروفة: اليوم انتهت الحروب الصليبية!.

ولمّا دخل القائد العسكري الفرنسي إلى دمشق، ووصل إلى قبر القائد المسلم (صلاح الدين) وقف يقول بشماتة: ها قد عدنا يا صلاح الدين!.

الاستعمار يلغي الشريعة ويفرض العلمانيّة:

إنّ من أهمّ الأحداث التي حدثت في القرن الرابع عشر هو (الاستعمار)، الاستعمار الذي دخل بلاد المسلمين وحكمها بغير ما أنزل الله، حكمها بغير شريعتها، طرد الشريعة الإسلاميّة. وأحلّ محلّها القوانين الوضعيّة، لأوّل مرّة في تاريخ المسلمين.

لم يكن يجرؤ حاكم مهما طغى وتجبر أن يلغي شريعة الإسلام في مجتمع المسلمين لم يستطع ذلك الحجّاج الثقفي، ولم يستطع ذلك ظالم من الظلاّم، قد يجور أو ينحرف في حكم من الأحكام، ولكن أن تُعطّل الشريعة.. أن يُلغى حكم الله ، هذا ما لم يحدث في تاريخ المسلمين إلاّ بعد دخول الاستعمار.

دخل الاستعمار وفرض العلمانيّة بالحديد والنار.. بقوّة السلاح، على ديار المسلمين، علمانية في الحكم والسياسة، علمانيّة في القانون والتشريع، علمانيّة في التعليم والتربية، علمانيّة في الثقافة والتوجيه والاعلام، علمانيّة في مظاهر الحياة المختلفة، ومعنى العلمانيّة: فصل الدين عن الدولة وعن المجتمع وعن الحياة.

الإِسلام غير النصرانيّة:

طبّقوا هنا ما طبّقوه من قبل في بلادهم، ولكن بلادنا غير بلادهم، الإِسلام غير المسيحيّة، والمسجد غير الكنيسة وعلماء الدين غير رجال الكهنوت هناك.

إن الإِسلام لم يقف ضدّ العلم كما فعلت الكنيسة في أوروبا، ولم يقف مع الملوك ضد الشعوب، ولم يقف مع الأغنياء ضدّ الفقراء، لا، بل كان الإِسلام مع العلم.. مع الشعوب.. مع الفقراء.. مع الفئات الضعيفة دائماً.. مع العدل.. مع القسط بين الناس، فكيف ساغ أن يُفعل هنا ما فُعل هناك؟!.

إنّ الشعوب هناك ثارت وقالت في صيحاتها المدويّة: اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيّس! دلالة على هذا التعاضد والتساند بين الكنيسة وبين الظلاّم من الملوك، أما الإِسلام فليس الأمر كذلك.

وليس عندنا ما عند النصارى: دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله، ليس عندنا قسمة الحياة، ولا تشطير الإنسان شطرين: شطر لله وشطر لقيصر، وقسم لله أو للدين، وقسم للدولة أو للدنيا، لا، عندنا: قيصر وما لقيصر لله الواحد القهّار، لله ما في السموات وما في الأرض، ولله من في السماوات ومن في الأرض.

الاستعمار صنع قادة على عينه:

ولكن الاستعمار حن فرض العلمانيّة، لم يفرضها بالحديد والنار، ثم يدع الأمور تجري في أعنتها، فلو فعل ذلك لنفض الناس أيديهم من العلمانيّة بعد قريب، ولكنّ الذي نجح فيه هو أنّه استطاع أن يصنع على عينيه، ويربّي على يديه، رجالاً من أبناء المسلمين، علمانيّين كأسيادهم المستعمرين، يسيرون في خطّته، وينهجون نهجه، ويتبنّون أفكاره، ويعملون على تنفيذها بعد رحيله.

هكذا صنع الاستعمار.

صنع المدارس التبشيريّة، والمؤسّسات الأجنبيّة، وطبخ فيها من يريد طبخه، صنع الخواجات من أبناء المسلمين، في ديار المسلمين ولم يكتف بذلك، فمن لم تنضجه الطبخة في بلاده، أُرسل إلى هناك.. إلى أوروبّا، ليتمّ إنضاجه، ويعود بأسماء المسلمين، ولكنّه يحمل عقل الأوروبيّين.

هكذا صنعوا، ونجحوا فيما صنعوا.

ولم يكتفوا بذلك، فعلمنوا التعليم، علمنوا المدارس والجامعات، وجعلوا من بلاد المسلمين بلاداً أوروبيّة الفكر والاتجاه.

القوّة الذاتيّة في الإسلام تبرز المجاهدين المحرّرين:

وظنوا بعد ذلك أن قد طاب لهم المقام، ظنّوا أنّه قد تهيّأت لهم السبل، وأنّ الأمر قد استقر لهم في بلاد المسلمين بعد الذي صنعوه.

وما دروا أنّ القوّة الذاتيّة للإسلام كامنة كمون النّار في الكبريت، كامنة كمون البركان تحت الرماد، وإذا بهم يرون هذه النار تشتعل من جديد في كلّ بلاد الإسلام، يحرّكها صوت الإسلام، تحرّكها كلمة: الله أكبر، يحرّكها الإيمان، تحرّكها كلمات: هبي يا رياح الجنّة.

ظهر المجاهدون، والراغبون فيما عند الله من الشهادة في سائر بلاد الإسلام، وظهرت حركات وثورات جهاديّة في كلّ البلاد تقاوم الاستعمار، تقاتل وتجاهد وتدافع، حتى استطاع المسلمون أن يحرّروا بلادهم من الاستعمار العسكري، ورحلت عساكر الاستعمار من بلاد المسلمين، ولكن آثار الاستعمار بقيت للأسف.

المجاهدون يزرعون والعلمانيّون يحصدون:

إنّ الثورات التي قامت باسم الإسلام، وتحرّكت بدوافع الإيمان وأحلام الجنّة، قد سرقها العلمانيّون، سرقها اللادّينيون، هناك أناس مدرّبون على سرقات الحركات الشعبيّة والثورات الجهاديّة، قوم يغرسون ويتعبون ويرعون ويتعهّدون،

وآخرون يقطفون الثمرة.

المتدينون يزرعون، والعلمانيُّون يحصدون!.

في تركيا وإندونيسيا والجزائر:

في تركيا: قام الشعب التركي باسم الإسلام وراء مصطفى كمال الذي كانوا يسمّونه: الغازي مصطفى كمال، وظنّ الناس أنه يحارب عن الإسلام وباسم الإسلام، ولما انتصر قام المسلمون في كلّ مكان يحتفلون ويقيمون الأفراح، ويقول الشاعر شوقي في ذلك الوقت:

الله أكبر كم في الفتح من عجب يا خالد الترك جدّد خالد العرب!

كانوا يظنّون إنّه خالد الترك.. خالد الجديد، بدل خالد بن الوليد.

وإذا به إنسان دونميّ، من يهود الدونمة، إذا بهذا الإنسان يضع في صدر الإسلام خنجراً مسموماً، ويعلن أنّه ضدّ الإسلام، يحارب الإسلام في تشريعه، وفي توجيهه، وفي تعليمه، حتى اللغة التركيّة كانت تكتب بالحروف العربيّة، فأبى إلاّ أن تكتب باللاّتينية. حتى الأذان حُرّم على الأتراك أن يؤذّنوا بالعربيّة.. ألاّ يقولوا: الله أكبر، وظلّ ذلك إلى عهد قريب، إلى عهد (عدنان مندريس) الذي أعاد الأذان بالعربيّة.

وهكذا في كثير من البلاد سرقت الثورات الإسلامية.

ثورة إندونيسيا التي قامت باسم الإسلام، سرقها العلمانيّون، ثورة المليون شهيد في الجزائر قامت باسم الإسلام، كان الصوت الذي حرّكها هو صوت (جمعيّة العلماء) المسلمين، صوت الشيخ عبد الحميد بن باديس، وهو ينشىء المدارس القرآنيّة، ويعلّم الجزائريّين ويحفّظهم نشيده المعروف:

شعب الجزائر مسلم وإلى العروبة ينتسب

من قال حاد عن أصله أو قال مات فقد كذب

كانوا يريدون (فرنسة) الشعب الجزائري، فرنسة لغته وتعليمه وحياته كلّها،

ولكنّ الإسلام هو الذي قاوم، كانت جهود ابن باديس، والإبراهيمي، والتبسي، وإخوانهم، هي البذور التي نبتت منها الثورة.

فأين هذه الثورة الآن؟؟.

الثورات قامت في كلّ مكان يساندها المسلمون، ويغذّونها بدمائهم، ولكن يسرقها العلمانيّون.

كان هذا تما حدث في هذا القرن.

الاستقلال والهدف منه:

استقلت بلاد المسلمين، ولكن ما قيمة الاستقلال؟ لماذا تستقلّ الأمم؟ لماذا تستقلّ الشعوب؟.

إنّ الاستقلال ليس غاية في ذاته، إنّ الأمم لا تعيش لمجرّد أن تستقلّ، ولكنّها تستقلّ لتعيش، وإنّما تعيش لرسالة، الأمّة التي تعيش لرسالتها هي المنتصرة حقّاً، أمّا إذا عاشت لغير رسالتها فلن تنتصر.

متى تكون الأمّة الإسلاميّة منتصرة حقاً؟.

إذا حقّقت ذاتها، إذا حقّقت وجودها، وإنّما تحقق ذاتها بالإسلام، إنّما تحقق وجودها بقيام دولة الإسلام، التي تقوم على عقيدة الإسلام، وعلى تشريع الإسلام، وتربية الإسلام، وتوجيه الإسلام، وحياة الإسلام.

فهل حدث هذا في بلاد المسلمين؟.

أين دولة الإسلام؟ أين الدولة التي تتبنّى الإسلام عقيدة وشريعة وأخلاقاً ومنهاج حياة؟.

إنّ بلاد المسلمين إذا قامت فيها دولة رأسماليّة ديمقراطيّة بعد استقلالها، فهل تُعدّ بهذا قد انتصرت؟ لا والله، إنّ الذي انتصر إنّما هو المعسكر الغربيّ.

وإذا قامت في بلاد المسلمين بعد استقلالها دولة اشتراكية ماركسيّة فما

انتصر الإسلام، وإنّما انتصر المعسكر الاشتراكي.

إنّما ينتصر الإسلام حين تقوم في أرض الإسلام دولة الإسلام، التي ترتفع فيها راية القرآن، حينما تحلّ حلال الله، وتحرّم حرامه، حينما يكون للمسلمين في بلادهم كيان، حينما يعيش المسلمون أعزّاء، لا يُقتلون في مساجدهم بإطلاق النّار، حينما يعيش المسلمون موفوري الكرامة، مرفوعي الرؤوس!.

أمّا إذا ظلّ المسلمون يعيشون في بلادهم غرباء، ويعيش الإسلام غريباً في دياره، مخذولاً بين أنصاره، فليست هذه هي البلاد المستقلّة التي انتصر فيها الإسلام.

ماذا يراد للمسلمين؟:

يُراد للمسلمين دائماً أن يختفوا، ويراد لإسلامهم أن يضع رأسه في الرمال كالنعامة.

ويُقال للمسلمين إذا كانوا أقليّة: ليس لكم حقّ في أن تُحكموا بإسلامكم، فإنكم أقليّة والأقليّة تتبع الأكثريّة بحكم الديمقراطيّة! وإذا كان المسلمون في بلادهم أكثريّة قيل لهم: ألغوا شخصيّتكم باسم الوحدة الوطنيّة، اتركوا إسلامكم باسم التسامح!!.

هل التسامح أن نخفض رؤوسنا؟!.

هل التسامح ألاّ نعيش بإسلامنا ولإسلامنا؟!.

هل التسامح ألاّ نحكم بشريعتنا؟!.

هل التسامح أن نُذيب الفوارق بين الأديان بعضها ببعض بهذا النفاق السياسي والاجتماعي؟!.

لا، ليس هذا من التسامح في شيء.

في هذا القرن حدثت أحداث، إنّه قرن الاستعمار والكفاح في مقاومة الاستعمار، القرن الذي حرّر المسلمون بدمائهم بلادهم من الاستعمار، ولكن بقيت فيها إلى اليوم آثار الاستعمار، وقوانين الاستعمار، وأفكار الاستعمار.

هذا من ملامح هذا القرن.

إلغاء الخلافة:

من ملامح هذا القرن، بل من كوارث هذا القرن: ما صنعه (كمال أتاتورك) حينما تحكّم في تركيا المسلمة، أنّه ألغى الخلافة الإسلاميّة[1]، آخر مظهر لتجمّع المسلمين تحت راية العقيدة، تحت راية (لا إله إلاّ الله محمد رسول الله)، على ما كان به من ضعف، وعلى ما كان بالخلافة العثمانيّة من عيوب، فقد كانت تمثّل الوحدة الإسلاميّة، كانت تمثّل (بُغْبُعاً) يخيف بلاد الاستعمار ـ ودول الصليبيّين.

ولذلك تآمروا عليها، كانوا يسمّونها (الرجل المريض)، ولا بدّ من اقتسام تركة (الرجل المريض)، وما زالوا بهذا الكيد حتى وجدوا من أبناء المسلمين أو من ينتسب إلى المسلمين من يحقق قول أولئك المبشرين العتاة الذين قالوا: لا يقطع الشجرة إلاّ واحد من أبنائها! هكذا صنعوا، وتجرّأ ذلك الجبان الملحد العلماني اللاديني ـ كمال أتاتورك ـ أن يلغي الخلافة الإسلاميّة، وأصبح المسلمون لأوّل مرّة في التاريخ بلا خلافة، بلا إمام يجمعهم ويقول: هبّوا للجهاد، أو هيّا لنصرة الإسلام.

نحن المسلمين الأن نحتاج إلى من يجمع النّاس، . ومن يقول للنّاس: هيّا جاهدوا، فلا نستطيع.

تآمر اليهود، وكانوا من وراء إسقاط الخلافة العثمانيّة.

---

(١) كان ذلك في عام ١٩٢٤م.

حاول اليهود أن يشتروا هذه الخلافة، حاولوا مع السلطان عبد الحميد أن يضعوا في جيبه ملايين اللّيرات الذهبيّة في مقابل أن يقطعهم بعض الإقطاعات في فلسطين، ولكنّه أبى، فكاد اليهود كيدهم، حتى كان الذي سلّمه صكّ إسقاط الخلافة هو الذي عرض عليه شراء أرض من فلسطين بالملايين!.

سقطت الخلافة بكيد الكائدين، ومكر الماكرين، وكان هذا من الكوارث الكبرى في تاريخ الأمّة.

الآن أصبح المسلمون وليس لهم راية، أصبحوا ممزقين الآن كما ترون في ظلّ الدول القُطْرية.

يقولون: الكتلة الإسلاميّة، وأين هي الكتلة الإسلاميّة؟! وهل هي كتلة فعلاً؟!.

أين التضامن الإسلاميّ؟:

كانوا يسعون إلى (الوحدة الإسلاميّة: أو (الجامعة الإسلاميّة)، ثمّ هبطوا، فسمّوه: (التضامن الإسلامي)، فأين هو التضامن الإسلامي، والمسلمون يحارب بعضهم بعضاً؟!.

ما رأينا حرباً أشدّ ضراوة من حرب العراق وإيران، ما رأينا تلك الجيوش قاتلت في فلسطين مثل هذا القتال.

الله وصف المؤمنين من أصحاب النبي ﷺ بقوله: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]، ولكن المسلمين الآن: أشدّاء على أنفسهم رحماء بغيرهم! وصف الله اليهود بقوله: ﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ [الحشر: ١٤]، كأن هذه الأوصاف تنطبق على المسلمين عامّة، وعلى العرب خاصة.

«ذلك بأنّهم قوم لا يعقلون»: لو كانوا يعقلون، لعلموا أنّه في ساعة الشدائد يجب أن تُنسى الخصومات، وتُنسى كلّ الخلافات الجانبيّة، وأن يقف

الجميع صفاً واحداً في مواجهة العدوّ الواحد، وصدق الله العظيم إذا يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴿٤﴾﴾ [فصلت: ٤].

أين الصف الواحد؟ أين البنيان المتراص؟.

لا نرى إلاّ تفرقاً وتمزّقاً.

ولا بدّ من هذا التفرق والتمزّق، ما دام لا يوجد هناك حبل واحد يُعتصم به، ليس هناك منهج واحد يُتبع، هناك مناهج، وهناك طرق شتّى: هذا يسلك سبيل الاشتراكيّة، وهذا يسلك سبيل الرأسماليّة، وهذا يسلك سبيل الديمقراطيّة، وهذا يسلك سبيل الدكتاتوريّة العسكريّة، وهذا.. وهذا.. فكيف يلتقون؟!!.

روى ابن مسعود رضي الله عنه قال[1]: خطّ لنا رسول الله ﷺ خطّا [كان يعلّمهم بوسائل الإيضاح، ووسائل الإيضاح المتوافرة في ذلك الوقت: الرمل، يرسم ويخطّ فيه] ثمّ قال: هذا سبيل الله [هذا صراط الله المستقيم] ثمّ خطّ خطوطاً عن يمينه وعن شماله [متعرّجة وملتوية] وقال: هذه سبل، على كلّ سبيل منها شيطان يدعو إليه، وقرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

المسلمون الآن انقسموا، ما داموا قد تركوا الإسلام فقد اتجه بعضهم إلى اليمين واتجه بعضهم إلى اليسار، واليمين درجات واليسار درجات، هناك يمين اليمين ووسط اليمين ويسار اليمين، وهناك يسار اليسار ووسط اليسار ويمين اليسار، وبين هذه وتلك درجات ودرجات، وهناك الموالي لموسكو، والموالي لبكّين، والموالي لبلغراد، والموالي لواشنطن، والموالي للندن، والموالي لباريس.

---

(١) إسناده حسن، أخرجه الإمام أحمد، والطبري والحاكم وصحّحه، وأقرّه الذهبي (شرح السنة للبغوي بتحقيق الشاويش والأرناؤوط»: ٢/١٩٦ ـ ١٩٧ برقم ٩٧).

تركوا القبلة الواحدة، فصاروا إلى قبلات مختلفة، وتركوا المنهج الواحد فتفرّقت سبلهم: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

تمزّق المسلمون ولم يعد لهم تجمعهم، وهذا من شرّ ما حدث في هذا القرن.

قيام إسرائيل:

ومن شرّ ما حدث في هذا القرن بعد الاستعمار، وبعد سقوط الخلافة، وتمزيق الأمّة الإسلاميّة، حدث خطير لم يكن أحد يتوقّعه، إنّه: قيام إسرائيل، قيام دولة لليهود، بعد أن تمزّقوا في الأرض، وقطّعهم الله فيها أمماً، قام لهم كيان، وقامت لهم دولة، وأين؟ في قلب بلاد العروبة والإسلام، في أرض النبوّات والمقدّسات، الأرض التي بارك الله فيها للعالمين.

حول المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله، قامت لليهود دولة، ظللنا سنوات ونحن نطلق عليها ـ في الصحف والمجلّات والإذاعات ـ اسم: (إسرائيل المزعومة).

ولكن هذه (المزعومة) ظلّت تناوش وتضرب وتلطم وتؤدّب وتعاقب هذه الجبهة وتلك، حتى أوشكنا أن نكون نحن (المزعومين)، فتركنا كلمة (المزعومة) واستحيينا من أنفسنا.

من كان يظنّ أنّ اليهود الذين عاشوا في ذمّة المسلمين، وتحت سلطانهم، وفي كنف أمانهم ـ بعد أن كانوا يُذلّون ويُقهرون في أنحاء العالم، ولا يجدون صدراً حنوناً إلاّ في قلب بلاد الإسلام ـ أنهم يقلبون للمسلمين ظهر المجن، ويديرون عليهم الدوائر، وينقلبون عليهم.

هكذا صنعوا، واستنسر البغاث، وتذأبت النّعاج، وأصبح اليهود يقتّلون المسلمين، ويذبّحون المسلمين، وأصبح اسمهم: القوّة التي لا تُقهر.

هذه ـ أيّها الإخوة ـ أهمّ أحداث هذا القرن المنصرم.

ظهور الحركات التجديديّة الإسلاميّة:

وأحبّ أن أقول هنا شيئاً مهمّاً: أنّ هذا القرن المنصرم ـ أيضاً ـ قد تميّز بحركات إسلاميّة، قام بها مجددون أصلاء في أنحاء الديار الإسلاميّة، فاستطاعوا أن يُحيوا الأمّة من موات، وأن يجمعوها من شتات، وأن ينادي مناديهم في المسلمين، أن يتهيّأوا من جديد لمعركة المستقبل، وأن يجعلوا الإسلام مرجعهم ومحور حركتهم، وأساس نهضتهم.

فقامت جماعات وحركات إسلاميّة تجدّد الإسلام، تجمع المسلمين على (لا إله إلاّ الله، محمّد رسول الله)، وترفع راية التوحيد من جديد.

بروز الصحوة الإسلاميّة المعاصرة:

ونحن الآن نشهد ثمار هذه الحركات في هذه الصحوة.. الصحوة الإسلاميّة، المتمثّلة في هذه الحركات وفي هذه الجماعات الإسلاميّة، جماعات الشباب الإسلامي التي انطلقت في كلّ مكان من بلاد الإسلام.

زرت الشرق والغرب فوجدت ـ فيما وجدت ـ هذه الصحوة المباركة.

صحيح أني وجدت مآسي ومشكلات في كل بلد إسلامي حكمه الاستعمار، ولكون ـ بجوار هذا ـ وجدت الصحوة الإسلاميّة.

في (ماليزيا) التي كانت تسمى قديماً (الملايو): كان الملاويون في العادة مسلمين، فإذا بالمكايد تعمل عملها، وتدبّر تدبيرها، فأدخل الإنجليز المستعمرون عليهم مهاجرين من الصينيّين الذين يسمّونهم (يهود الشرق الأقصى)، وقد تكاثروا وازدادوا قوّة بمساندة الإنجليز، وها هم ـ بعد رحيل الإنجليز ـ يتسلّطون على رقاب أهل ماليزيا، ويستولون على اقتصادها، ويكوّنون عدداً ضخماً نحو الثلث، ثمّ يستولون على (سنغافورة) ويقتطعونها من ماليزيا، ثمّ يستولون على العواصم مثل (كولالمبور)، بحيث تجد أكثر من (٨٠٪) من الثروات في يد هؤلاء.. يهود الشرق الأقصى.

ولكن مع هذا هناك الصحوة الإسلاميّة، هناك حركة الشباب الإسلامي (أيم).

في كلّ مكان نجد صحوة إسلاميّة.

بل وجدت هذه الصحوة وراء البحار، في أوروبا، في أمريكا، وجدت هؤلاء الشباب الصوّامين القوّامين، الذين يصومون الاثنين والخميس، ويستغفرون بالأسحار، ويصلون الفجر في المساجد.

وجدت هؤلاء الفتيات اللاتي آلين إلاّ الحجاب، إلاّ أن يأتمرن بأمر الله وينتهين عن نهي الله، ويتحدّين المجتمعات، بل يتحدّين الأسر أحياناً والآباء والأمّهات.

هؤلاء الفتيات أصبحن بالألوف، ومئات الألوف، في كلّ بلد إسلامي.

كنّا نسير في الستينيات في بلد مثل (القاهرة) هذه، فلا نكاد نرى فتاة محجبة، حتى العجوز الشمطاء التي أكل الدهر عليها وشرب، كانت تمشي بما يسمّى (الجابونيز) أو نحو ذلك.

الآن سر في الشوارع، سترى هذه الظاهرة، أُدخل الجامعات والمدارس، سترى ظاهرة الفتيات المحجبات.

الحمد لله، صحوة إسلاميّة في كلّ مكان، علم الإسلام يرتفع، صوت الإسلام يدوّي.

وقد ساعد على ظهور هذه الصحوة رقوّتها: إخفاق (الحلول المستوردة) من الشرق والغرب، من اليمين ومن اليسار، فهي لم تحقّق للأمّة هدفاً كانت تصبو إليه: لا نصراً عسكريّاً، ولا رخاء اقتصادياً، ولا استقراراً سياسيّاً، ولا تماسكاً اجتماعيّاً، ولا انضباطاً أخلاقيّاً. بل فشلت فشلاً ذريعاً في كلّ هذه الميادين.

واجبنا حراسة الصحوة من كيد أعدائها:

هذه الصحوة ـ أيها الإخوة ـ يجب أن نحافظ عليها، نحافظ عليها ونحرسها من أعدائها.. من خصومها، حتى لا يضربوها من داخلها، حتى لا

يغزوها من الداخل بواسطة المخربين.. بواسطة العابثين.

يجب أن نحافظ على هذه التجمّعات الإسلاميّة، ونسير بالحكمة، وندعو بالموعظة الحسنة، ونجادل بالتي هي أحسن، لا بالتي هي أخشن.

المحافظة على الصحوة من أبنائها أنفسهم:

ويجب أن نحافظ على هذه الصحوة الإسلاميّة من ناحية أخرى: من ناحية أبنائها أنفسهم.

أريد من شباب الإسلام أن يقلعوا عن التوافه، ألاّ يشغلوا شباب هذه الأمّة بالخلافات الجانبيّة والمعارك الجزئيّة عن المعارك المصيريّة الكبرى، وألا تشغلهم الفروع عن الأصول، ولا الجزئيّات عن الكلّيّات، ولا الشكل عن الجوهر، ولا الأطراف عن القلب، ولا المختلف فيه عن المتفق عليه.

بل يجب عليهم أن يركّزوا انتباههم على الأمّة الإسلامية ومعاركها ومآسيها وقضاياها الكبرى، وما تتعرّض له من فتن، ومؤامرات تهدف إلى إبادتها معنوياً، إن لم تمكن إبادتها مادياً وجسدياً.

إخوانكم يقاتلون من سنوات في الفلبين، والعرب المسلمون يؤيّدون (ماركوس) ويصادقونه، ويعقدون معه الصداقات، ويمدّونه بالبترول، والمسلمون يصرخون ولا من مُصرِخ، ولا من مغيث.

إخوانكم في اريتريا، إخوانكم في تشاد، إخوانكم في الصومال، إخوانكم في كلّ مكان.

المسلمون أصبحوا أضيع من الأيتام في مأدبة اللّئام، ولا يملكون إلاّ أن يشكوا لمجلس الأمن.. للأمم المتحدة ورحم الله القائل الذي قال:

في كلّ محكمة قضيّة مسلم يشكو بليّته لغير المسلم

عضُّوا على إسلامكم بالنواجذ:

يا أيها الإخوة.. يا شباب الإسلام:

عضّوا على إسلامكم بالنواجذ، كونوا يداً واحدة، تفقّهوا في الإسلام، اعرفوا الإسلام من أصوله.. من مصادره الحقيقيّة، تتلمذوا على علماء الإسلام الثقات، اعرفوا الكتب الإسلاميّة الأصيلة، ارجعوا إلى المصادر، افهموا الإسلام فهماً شموليّاً.

الإسلام ليس في المسجد فقط، الإسلام ليس عبادة فقط، الإسلام ليس عقيدة فقط، الإسلام ليس أخلاقاً فقط.

الإسلام عقيدة وتوحيد، وعبادة وصلاة، وهو كذلك أخلاق وآداب، ومعاملة وتشريع ونظام حياة.

الإسلام رسالة تشمل الزمن كلّه، وتشمل العالم كلّه، وتشمل الإنسان كلّه، وتستوعب الحياة كلّها، وصدق الله العظيم: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

الاستبشار بمستقبل الإسلام:

إنّنا نستبشر بمستقبل الإسلام، إنّنا نعتقد أنّ بعد الليل فجراً، وأنّ مع العسر يسرا، وأنّ هذا الإسلام سينتصر، وأن الله تعالى يقول: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾[1] [التوبة: ٣٣، الصف: ٩].

إنّ الإسلام سينتصر إن شاء الله، وقد جاء في الحديث عن النبي ﷺ:

---

(١) وفي الآية (٤٨) من سورة (الفتح): ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وكفى بالله شهيداً﴾.

«ليبلغنّ هذا الأمر [يعني: أمر هذا الدين] ما بلغ الليل والنّهار [أي: ليعمّنّ الكرة الأرضيّة كلّها] ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر [أي: في بادية أو حضر] إلاّ أدخله الله هذا الدين، بعزّ عزيز، أو بذلّ ذليل، عزّاً يعزّ الله به الإسلام، وذلاً يذلّ الله به الكفر»[1].

إنّما النّصر بالمؤمنين:

ولكن ـ أيّها الإخوة ـ جرت سنّة الله أنّه لا ينصر الرسالات إلاّ بأهلها، إنّ الله تعالى خاطب رسوله بقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [الأنفال: ٦٢ ـ ٦٣].

نريد المؤمنين المؤتلفين، فأتلفوا على الإسلام، ترابطوا على الإسلام، قفوا صفّاً واحداً وراء الإسلام.

مهما قالوا إنّكم متعصبّون، تعصبّوا لإسلامكم، نحن في حاجة إلى شيء من التعصّب، إذا سميّ الاستمساك بالحق والاعتزاز بالدين تعصُّباً، فنحن أوّل المتعصبّين: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾﴾ [النمل: ٩٧]، ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾﴾ [الزخرف: ٤٣].

إذا سمّي هذا التوكّل وهذا الاستمساك وهذا الاعتزال تعصّباً، فلنتعصبّ، وإلاّ أُكلنا، وإلاّ ضعنا في بلاد دينها الإسلام، في بلاد أكثريّتها المسلمون.

آن للمسلمين أن يثبتوا وجودهم، وأن يعرفوا حقيقتهم، وأن يميّزوا صديقهم من عدّوهم، وأن ينظّموا أنفسهم، وأن يتراصُّوا وراء الحق: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾﴾ [الصف: ٤].

---

(١) رواه أحمد في مسنده، وأورده الهيثمي في المجمع، وقال: رواه أحمد والطبراني، ورجال أحمد رجال الصحيح. انظر (المبشرات بانتصار الإسلام للقرضاوي: ص ٢٧ ط. مكتبة وهبة بالقاهرة.

إذا لم يفعل المسلمون ذلك، فإنّ العاقبة وخيمة، وإنّ الشرّ ينتظرهم، والقرآن قد حذّرهم بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾﴾ [الأنفال: ٧٣].

الكفّار بعضهم أولياء بعض، والكفر كلّه ملّة واحدة، ولذلك نرى الشيوعيّ، والرأسماليّين، واليمينيّين واليساريّين، يتفقون فيما بينهم إذا كان العدوّ هو الإسلام، وإذا كان الهدف هو ضرب المسلمين.

فإذا لم نفعل ذلك، ولم يوال بعضنا بعضاً ويتكتّل بعضنا مع بعض، ويساند بعضنا بعضاً «تكن فتنة في الأرض وفساد كبير».

لا حياة بغير الإسلام:

أيّها الإخوة: هذه خواطر في يوم العيد، أوّل عيد في القرن الخامس عشر الهجري.

آن لنا أن ننفض غبار النّوم، آن لنا أن نعرف أنفسنا، آن لنا أن نكتشف ذاتنا، نحن مسلمون قبل كلّ شيء، نحن بالإسلام كلّ شيء، وبغير الإسلام لا شيء.

نحن لا نريد اعتداء على أحد، وإنّما نريد أن نعيش مسلمين ونموت مسلمين، ولا نريد لأحد أن يمنعنا من هذه الحقيقة.

لا نقبل من أحد أبداً أن يقول لنا: عيشوا بغير الإسلام، لا نقبل هذا من حاكم، ولا نقبل هذا من محكوم، ولا نقبل هذا من أحد في الداخل أو في الخارج.

إنّنا مسلمون، نعتزّ برسالة الإسلام، نعيش بها، ونعيش لها، ونموت عليها، ونعلنها على الملأ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٣]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

أيها الإخوة: إنّي داع فأمّنوا:

اللهم أكرمنا ولا تهنّا، وأعطنا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وارض عنّا وأرضنا.

اللهم اجعل كلمة الإسلام هي العليا، واجعل كلمة أعداء الإسلام هي السّفلى.

اللهم عليك بأعدائك أعداء الإسلام، اللهم إنّا ندرأ بك في نحورهم، ونعوذ بك من شرورهم، اللهم ردّ عنّا كيدهم، وفلّ حدّهم، وأذل دولتهم، وأذهب عن أرضك سلطانهم، ولا تدع لهم سبيلاً على أحد من عبادك المؤمنين.

اللّهمّ حبّب إلينا الإيمان وزيّنه في قلوبنا، وكرّه إلينا الكفر، والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين.

اللهم تقبلنا في جندك الصادقين، وحزبك الغالبين، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

اللهم أعل بنا كلمة الإسلام، وارفع بنا راية القرآن.

اللهم أيدّ إخواننا المجاهدين في أفغانستان، وأيدّ إخواننا المجاهدين في لبنان، وأيدّ إخواننا المجاهدين في سوريّا، وأيّد إخواننا المجاهدين في أرتيريا، وأيّد إخواننا المجاهدين في الصومال وأيدّ إخواننا المجاهدين في الفلبين، وأيدّ إخواننا المجاهدين في بلاد الإسلام حيثما كانوا.

اللهم أيّدهم بملأ من جندك، اللهم أمدّهم بروح من عندك، اللهم احرسهم بعينك التي لا تنام، واكلأهم في كنفك الذي لا يضام.

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا

لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

وصلّى الله وسلّم على سيدّنا محمد، وعلى آله وصحبه.

وتقبّل الله منّا ومنكم، وكلّ عام وأنتم بخير.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

obeikandl.com